في قصة المولد[1]

العالم قبل البعثة

كنا وصفنـــا فى كلامنا العالم حين بعث النبي ﷺ فيه بالنبوة وجاء فى كلامنا (ان العالم منذ البعثة اوتى رشده وبلغ اشده) وقد ظننا اننا انفردنا بوصف العالم انـــه اوتى رشده غير اننا رأينا بعض العلماء المتاخرين قد قالوا مثل ذلك ونحن حينما نذكر مثل هـــذا انما نريد تعزيز قولنا اذ كان فى مطابقة فاضل على قول دليل على متانة هذا القول وقوته .

وقد قال تعالى مشيرا الى ما كان عليه العالم قبل البعثة « وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » – (٢/٦٢) وانما قلنا مشيراً لانه فى الآية خاص بالعرب اذ الآية هكذا « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » غير ان ذلك فى مآله عام لان العالم كله كان كذلك الا قليـــلا لا يعتد به ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالم كافة وقد جاء فى الحديث الصحيح (ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب) وهؤلاء قليل بقوا متمسكين بدينهم الذى لم يتغير ولم يبدل اما غيرهم فكانوا على اديان قد عفى عليها القدم وشوه وجهها الاهواء والبدع فالعرب كانوا اهل شرك يعبدون الاوثان والمجوس يعبدون النيران ويقولون بالآهين اثنين وكذلك غيرهم من اهل الارض منهم من كان يعبد النجوم ومنهم من كان يعبد الشمس والقمر وهذا دين الكلدانيين فيما نظن ومنهم من كان يعبد العجل والبقر وهؤلاء كأهل الهند واهل مصر ولا نعلم ايهم قد اخذ عبادة البقر عن الاخر .

فلما اراد الله سبحانه ان يثوب الناس الى رشدهم وان ينكشف غطاء الجهل عن اعينهم هيأهم لقبول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التى اطلقت العقول من عقالها وخاطبتها بدعوتها وآياتها فهدى الله بمحمد المؤمنين الى ما جاء به من الدين الحق واظهر دينه حتى بلغ مشارق الارض ومغاربها وظهرت فيها كلمة التوحيد ونسخت بنوره الوثنية والشرك الذى كان قد طبق الارض كما قلنا آنفاً .

---

(١) ليس المراد قصة المولد السالفة هنا وحدها

وقد كان قبول العالم لهذا الدين اكبر دليل على بلوغه الرشد وان الله قد بعث بمحمد للعالم كافة وقبل محمد كانت الرسالة خاصة .

في احاديث المولد

يروى فى مولد النبي صلى الله عليه وسلم احاديث بعضها مقبـــول وبعضها موضوع او سقيم معلول فمن الاحاديث المعتبرة التى قال بعض الائمة بتصحيحها حديث العرباض بن سارية ومنه (قال انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسوف اونبئكم بتأويل ذلك دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التى رأت انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام وقد اخرج هذا الحديث الامام احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وهذا الحديث مؤيد بآى الكتاب وبالواقع .

خاتم النبيين

ولا ريب ان محمداً خاتم النبيين فى ام الكتاب وآدم منجدل فى الطين فمحمد كان كذلك فى علم الله منذ القديم وان كل شيء لفى علم الله وهذا معنى ام الكتاب اى فيما قدره وقضاه طبقاً لعلمه ويشبه ما يوضع من التصاميم ، والمخططات ولله المثل الاعلى وماجاء فى الحديث من انه خاتم النبيين مصداق قوله عز وجل « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » — (٤٠/٣٣) وفى الحديث الصحيح مرفوعا (مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين) وقد ثبت هــذا فقد مضى على الأخبار بانه صلى الله عليه وسلم خاتم نحو اربعة عشر قرنا لم يأت فيها نبي فذلك من اعلام نبوته وقد خرق الاجماع على هذا فرقة شذت فزعمت ان النبوة لا يغلق بابها وهذه الطائفة المسماة بالاحمدية او القاديانية اذ يرون امامهم نبيا يوحى اليه .

كان النبي (ص) على التوحيد

وقد يظن بعض الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين الجاهلية قبل نشأته وقد انكر هذا العلماء والأئمة وممن انكره الأمام احمد فقد قال فى قول من قال ذلك انه قول سوء ينبغى لصاحب هذه المقالة ان يحذر كلامه ثم قال اوليس كان لا ياكل ما ذبح على النصب ويستدل الأمام بما جاء فى الحديث انه صلى الله وعليه وسلم كان نبيا وآدم منجدل فى طينته واذن يكون على التوحيد منذ نشأته ومما نذكر فى الاستدلال على ذلك انه قبل النبوة اراد يوما ان يصغى الى لهو فضرب الله على اذنه واخذه النوم وانه كان قبل النبوة يتحنث الليالى ذوات العدد.

دعوة ابراهيم

وفى الحديث السابق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى بيان نبوته انه دعوة ابراهيم (ﷺ) وذلك اشارة الى قوله عز وجل فيما قص عن ابراهيم واسماعيل « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ہ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ہ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم »-(٢/١٢٧-١٢٩) ودعوة ابراهيم واسماعيل فى هذه الآيات هى «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم» الآية وقد استجاب الله هذه الدعوة فبعث من اهل مكة رسولا منهم على الصفة التى وردت فى الدعوة وهو محمد (ﷺ) يتلو عليهم آياته ويزكيهم حتى صاروا بذلك افضل الامم واعلمهم ومن على هذه الأمة بتلك الشريعة الباهرة والملـــة الواضحة وذلك الدين القيم الذى اعترف حذاق اهل الارض وعلماؤهم المنصفون انه لم يقرع العالم ناموس مثله والآيات التى يتلوها هى القرآن وهو اعظم الكتب السماوية واكملها وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب واخبار ما مضى واخبار ما يأتى ما لم يتضمنه كتاب قال بعضهم لو ان هـــذا الكتاب وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك .

بشارة المسيح :

وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث (وبشارة عيسى قومه) قـد جاء فى الكتاب العزيز ان قوله تعال « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليـكم مصدقاً لما بين يـدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد »–(٦١/٦) وقد بشر المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكره باسم البارقليط وهو مساو لاسم (احمد) وهذا معترف به وقد اكد لنا بعض القسوس هذا وقد اوضحناه فى مقال نشر فى العدد الماضى .

رؤيا ام النور

فى الحديث المعهود ان ام النبي صلى الله عليه وسلم رأت انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام والمقصود رؤيا المنام فقد روى ان آمنة رأت فى اول حملها بالنبي صلى الله عليه وسلم انها بشرت بانه يخرج منها عند ولادتها نور تضيء له قصور الشام وفى رواية اخرى ان آمنة قالت انها حين ولادتها محمدا صلى الله عليه وسلم رأت نوراً اضاء له ما بين المشرق والمغرب واي كانت الرؤيا فانها اشارة الى ما جاء به من النور الذى اهتدى به اهل الارض ومحا به منها ظلمة الوثنية والشرك وهذا من قوله عز وجـل « قد جاءكم من الله نـور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النـور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »–(٥/١٥/و١٦) وفى هذا يقول عمه العباس :

وانت لما ولدت اشرقت الارض ۞ وضـاءت بنـورك الافـق
نحن فى ذلك الضيـاء وفى النور ۞ وسبـل الرشـاد نخـترق

فترى ان هذا الحديث الذى تكلمنا عنه على ما قلنا فى مستهل كلامنا انه من الاحاديث التى تروى فى قصة المولد والتى عليها مسحة القبول وقد ايدته آي الكتاب وصدقه منطق الواقع